

العنوان:	دفع التعارض بين الأدلة الشرعية عند الظاهرية وتطبيقاته من خلال المحلى
المؤلف الرئيسي:	النفري، حكيمي
مؤلفين آخرين:	النفاتي، برهان(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2009
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 182
رقم MD:	927060
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	دفع التعارض، الأدلة الشرعية، الظاهرية، الفرق الإسلامية، التعارض عند الأصوليين، ابن حزم، علي بن أحمد، ت. 456 هـ، التراجع
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/927060">http://search.mandumah.com/Record/927060</a>

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

النفري، حكيمي، و النفاتي، برهان. (2009). دفع التعارض بين الأدلة الشرعية عند الظاهرية وتطبيقاته من خلال المحلى (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الزيتونة، تونس. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/927060>

إسلوب MLA

النفري، حكيمي، و برهان النفاتي. "دفع التعارض بين الأدلة الشرعية عند الظاهرية وتطبيقاته من خلال المحلى" رسالة ماجستير. جامعة الزيتونة، تونس، 2009. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/927060>

# الفصل التمهيدي

## في التعريف بابن حزم وتأسيس المذهب الظاهري

المبحث الأول : ترجمة ابن حزم

المبحث الثاني : حياة ابن حزم العلمية

المبحث الثالث : تأسيس المذهب الظاهري

المبحث الرابع : الظاهرية مع ابن حزم

المبحث الخامس : انقراض المذهب الظاهري

## المبحث الأول : ترجمة ابن حزم

### المطلب الأول : نسبه ومولده

الإمام ابن حزم الظاهري هو علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم بن غالب بن صالح<sup>1</sup> بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الفارسي الأموي اليزيدي<sup>2</sup> القرطبي الظاهري.

اختلف المؤرخون في أصله : ذهب البعض أنه أعجمي الأصل أي إسباني<sup>3</sup> والبعض الآخر أنه فارسي<sup>4</sup>.

والراجح هو ما ذهب إليه الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه الذي يدرس حياة ابن حزم وآرائه الفقهية معتمدا على الروايات التاريخية الموثوقة منها وترك ما هو ضعيف أو منقطع<sup>5</sup>.

وقد فند أبو زهرة أغلب الآراء القائلة بأعجمية ابن حزم وخاصة وردّ على ابن حيان وهو من معاصريه الذي شكك وطعن في نسبه وذلك بمقارنته بكلام الفتح بن خاقان وبيان ما في تشكيكه من تضارب، مؤكدا إجماع المؤرخين المحققين أمثال الإمام الذهبي في تاريخه على ثبوت النسب الفارسي لابن حزم وهو رأي كل معاصري إمام الظاهرية إلا ابن حيان الذي لم يبق لدعواه إلا العداوة والخصومة.

ودعم الدكتور أحمد بن ناصر الحمد هذا المذهب مرجّحا لفارسيّته وقد أشبع هذه المسألة تحقيقا وبخا في رسالته العلمية<sup>6</sup>. كانت هذه الرفاهية تستمدّ وجودها من الأوضاع السياسية في الأندلس التي سيطر عليها الصّراع على السلطة، فلم تكن أسرة ابن حزم بمعزل عن هذه الأحداث حيث ذقت الويلات وتعرضت للمصائب والاعتقالات والنكبات المتتالية

<sup>1</sup> "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لابن عماد الحنبلي، ج 299/3.

<sup>2</sup> "مراتب الإجماع" لابن حزم، ص 3.

<sup>3</sup> "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، ج 250/12، 251.

<sup>4</sup> "ابن حزم" لمحمد أبي زهرة، ص 20، 21.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 20، 21.

<sup>6</sup> "ابن حزم وموقفه من الإلهيات"، أحمد بن ناصر الحمد، ص 198.

حيث يقول ابن حزم "ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد<sup>1</sup> بالنكبات وباعتداء أرباب دولته، وامتحننا بالاعتقال، والترقيب، والإغرام الفادح، والاستتار وأزرمت الفتنة وألقت باعها، وعمت الناس، وخصّتنا إلى أن توفي أبي الوزير ونحن في هذه الأحوال"<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني : وفاته

عاصر ابن حزم فترتين متباينتين كل التباين : الفترة الأولى من منتصف القرن الرابع الهجري حتى نهايته، حيث بلغت خلالها الأندلس قمة الازدهار والقوة والعظمى، أمّا الفترة الثانية من القرن الخامس الهجري فتميزت بالصراع والضعف في الخلافة واحتلال الأندلس وفساد العامة وانحصار تطبيق الشريعة وانتشار الجمود الفكري والتعصب المذهبي ولقد كان لهذه الأحداث الأثر الكبير على عالمنا الذي رسم صورة للمجتمع الأندلسي ومدى اكتواءه بنار هذه الفتن وابتلاءه بالمصائب والمحن وكانت حياته مزيجاً من الرفاهية والشدة ومن مجاورة الأهل ومن التغريب والترحيل ومن التعظيم والتبجيل ومن الهجر وإحراق كتبه في شتى الفنون.

كما اتفقت المصادر التاريخية المعتمدة على تاريخ وفاة ابن حزم حيث أورد المقرئ في نفحه عن ابن حيّان أنه توفي سنة 456هـ<sup>3</sup>.

ولد ابن حزم بقرطبة سنة 384هـ وقد ذكر تاريخ ومكان نشأته فلا يوجد تعييناً أكثر من هذا وإن شدّ أحد المستشرقين في ذلك<sup>4</sup>. وكانت أسرته ثرية وصاحبة جاه وشرف للوظيفة التي كان يشغلها والده المتميّز بسعة علمه ومجده ونسبه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمان الناصر أبو الوليد المؤيد الأموي (355هـ-403هـ)، ولد بقرطبة وبويع يوم وفاة أبيه سنة 366 (الكامل في التاريخ 284/7، 249 و291).

<sup>2</sup> "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 125.

<sup>3</sup> "نفح الطيب" للمقرئ، ج 2، ص 78.

<sup>4</sup> اتفقت جميع المصادر والمراجع على سنة ميلاد ابن حزم باستثناء المستشرق بروكلمان حيث زعم بأنها سنة 387هـ.

<sup>5</sup> "مقدمة ابن حزم" للحاجري، ص 11.

## المطلب الثالث : نشأته

نشأ ابن حزم في رفاهية من العيش لمكانة والده من المنصور ابن أبي عامر<sup>1</sup> وترعرع في قصر فسيح بناه والده بطابعه الأندلسي الخلاب المعبر عن سيادة وعلو بني أمية ورجال الحكم باعتبار أنّ والده كان وزيرا واسع الاطلاع أشرف على حسن تربيته وإعداده لتلقي العلوم والفنون على تنوعها<sup>2</sup> حتى أصبح عالما متبحرا، أدبيا وشاعرا مرهفة الحسّ، فقيها، قادرا على الاستنباط والاحتجاج، المناظرة، المجادلة وتفنيده آراء الآخرين، فيلسوفا، حكيما ومنطقيا يندر وجوده ومصنفا عزيزا.

## المبحث الثاني : حياة ابن حزم العلمية

### المطلب الأول : ابن حزم وشيوخه

تحدث ابن حزم عن شيوخه في عدة مؤلفات أبرزها "طوق الحمامة" حيث عددهم وبين تأثير كل واحد منهم في منحى من مناحي حياته العلمية، فقد كان إماما في الفقه والأدب والمنطق وعلم الكلام وهم كثيرون أبرزهم :

#### 1. أبو علي الحسين بن علي الفاسي :

هو أكثر الشيوخ الذين أثر في تكوينهم لأنّه كان عالما متبحرا، زاهدا ورعا، جامعا بين العقل والنقل في انسجام نافيا أي تعارض بينهما. وقد صحبه ابن حزم منذ طفولته، عندما كان أبوه وزيرا متأثرا باجتهاده : "فلما ملك تنفسي وعقلت صحبت أبا علي الحسين بن علي الفاسي، في مجلس ابن القاسم، عبد الرحمان بن أبي يزيد الأزدي، شيخنا وأستاذي - رضي الله عنه، وكان أبو علي المذكور عاقلا، عاملا عالما، ممن تقدّم في الصلاح والنسك، وفي الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة... وما رأيت مثله جملة علما وعملا ودينا وورعا، فنفعني به الله كثيرا"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> هو محمد بن عبد الله بن عامر المعافري القحطاني (326-392هـ) كان أمير الأندلس في دولة المويدي الأموي وهو رابع الخلفاء الأمويين على الأندلس، أنظر الأعلام 226/6.

<sup>2</sup> "جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس" للحمدي، ص 170.

<sup>3</sup> "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 200.

## 2. أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن أبين يزيد الأزدي المصري :

كان شيخا له معرفة واسعة في الحديث وعلوم العربية كالبلاغة والأدب وقد ورد إلى قرطبة سنة 394هـ ونشر علمه، ولكن لاضطراب الحياة السياسية في قرطبة رجع إلى مصر حيث توفي فيها<sup>1</sup>.

## 3. أحمد بن محمد بن الجصور :

وهو من أكبر شيوخ الإمام ابن حزم<sup>2</sup> وتوفي سنة "401هـ" ويعرف عنه أنه أكثر الرواية عن "قاسم بن أبي أصبع"، وكان تأثيره عليه في عدة مجالات خاصة الفقه والأدب<sup>3</sup>.

## 4. مسعود بن سليمان بن مفلت :

ويكنى بأبي الخيار، وهو أكثر الشيوخ تأثيرا في تكوينه العلمي. وقد تأثر بالنزعة الظاهرية من خلال دراسته على يده لأنه كان ظاهريًا في الفقه وقدريًا في الاعتقاد كما ذكره ابن حزم في طوق الحمامة مثنيا عليه<sup>4</sup>.

## 5. عبد الله بن يحيى بن أحمد بن دحون الفقيه :

تأثر ابن حزم بابن دحون في الفقه والفتوى، وكان أبرز علماء الأندلس وقد أخذ عنه الفقه في كبر سنّه كما تداول القدماء والمعاصرون رواية حضوره للجنّازة ولم يحسن الصلاة، فسأل عن بيت بن دحون لأخذ العلم عنه، وهي قصة باطلة، موضوعة، ملفقة لم تصح لا تاريخيا ولا منطقيا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 125.

<sup>2</sup> "الشذرات" لابن عماد، ج 161/3، كتاب "العبر في خبر من غير" للذهبي، تحقيق فواد سعيد، ص 75.

<sup>3</sup> "طوق الحمامة"، ص 104، 190.

<sup>4</sup> "طوق الحمامة" لابن حزم، ص 139، والهاجري في كتابه "ابن حزم"، صورة أندلسية، ص 78.

<sup>5</sup> "معجم الأدباء" لياقوت، ج 11، ص 251، وقد أنكر ذلك الشيخ أبو زهرة في كتابه "ابن حزم" وعبد الحليم عويس في كتابه، ص 66.

## 6. محمد بن الحسن أبو عبد الله المذحجي :

ويعرف بابن الكتاني ، وقد تأثر به ابن حزم في مجالي الفلسفة والمنطق ، وكان المذحجي فيلسوفاً ، أديباً ، شاعراً وطبيباً ماهراً.

وقد ترجم له ابن خلكان : "وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكتاني ، وكان أديباً شاعراً طبيباً له في الطبّ رسائل وكتاب في الأدب ومات بعد الأربعمئة ، نقلاً عن الحافظ أبي عبد الله الحميدي وله كتاب صغير سمّاه "نقط العروس" جمع كل غريبة نادرة وهو مفيد جداً"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني : ابن حزم وتلاميذه

كان ابن حزم من العلماء القلائل المساهمين في كلّ العلوم ، المحاربين للبدع والآراء المنحرفة عن الكتاب والسنة ، ولرفعه أهل السنة وحطّه وذمّه لأهل البدعة بمنظرتهم وبيان تلييسهم فكان لهذا المتبحّر الورع تلاميذاً دافعوا عن المذهب وقاموا بنشره سواء في المشرق أو في المغرب ومن أبرز هؤلاء :

#### 1. أبو عبد الله بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي :

ولد بقرطبة وأخذ العلم عن ابن حزم وابن عبد البرّ وهو أكثر تلاميذه لزوماً له ، ظاهري المذهب وكان إماماً عارفاً متبحراً ، زاهداً وورعاً حيث نقل الكثير عن إمامته في علم الحديث بفروعه المختلفة<sup>2</sup>.

ومن مؤلفات الحميدي : "جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس" "كتاب المسبوك في وعظ الملوك" والمجال يضيق لذكر مصنفاته.

<sup>1</sup> "النفح الطيب" لأحمد بن محمد المغربي، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، ج 2، ص 314.

<sup>2</sup> نفس المصدر.



## 2. عبد الله بن محمد بن العربي أبو محمد الوزير :

كان ابن العربي وزيرا، وقد انصرف إلى طلب العلم على المنهج الظاهري وقد أجازته ابن حزم لرواية عدة مؤلفات، خاصة كتابه الإيصال حيث قرأ عليه سبع مجلدات من جملة أربعة وعشرون مجلدا.

ولم تقتصر هذه الإجازة على كتاب الإيصال فحسب، بل بأغلب مصنفات شيخ الظاهرية حيث أورد ياقوت في معجم الأدباء : "وربما كان للإمام "أبي محمد ابن حزم" شيء من مؤلفاته في غير بلده في المدة التي تجول فيها بشرق الأندلس فلم أسمع. ولي بجميع مصنفاته ومسموعاته إجازة منه مرّات كثيرة"<sup>1</sup>.

### المطلب الثالث : ابن حزم ومؤلفاته

ابن حزم موسوعي المعرفة، ترك مصنفات قيمة في كل العلوم الدينية والفلسفية والأدبية تناهز 400 مصنفا. وقد تعرّضت عدة كتب للحرق خاصة في عهد الوزير المعتضد ابن عباد<sup>2</sup> ولكن التاريخ حفظ لنا بعضها.

#### 1. المحلى :

"المحلى" واحد من أربعة كتب صنفها ابن حزم في أحكام الحلال والحرام، أكبرها كتاب "الإيصال إلى فهم الخصال"، ثم أوسطها "الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام، وأصغرها "المحلى" وأما "المحلى" فهو شرح لـ "المجلى"<sup>3</sup>، قال ابن حزم : "وفّقنا الله وإياكم لطاعته، فإنّكم رغبتم أن نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا الموسوم بـ "المحلى" شرحا مختصرا أيضا. نقصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار، ليكون مأخذه سهلا على الطالب والمبتدئ، ودرجا إلى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف، وتصحيح الدلائل المؤدية على معرفة الحقّ ممّا تنازع الناس فيه، والإشراف على أحكام القرآن والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن

<sup>1</sup> "معجم الأدباء" لياقوت، ص 242، 243.

<sup>2</sup> "لسان الميزان" لابن حجر، ص 200.

<sup>3</sup> "وصف المحلى" للكناني، ص 20.

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمييزها مما لا يصح، والوقوف على الثقات من رواة الأخبار، وتمييزهم من غيرهم<sup>1</sup>.

وقال في مكان آخر : "وإنما كتبنا كتابنا هذا للعامي والمتدبّر وتذكّرة للعالم<sup>2</sup> وأمّا طبعات المحلى فهي متعدّدة : طبع "المحلى" لأوّل مرّة بمطبعة النهضة بمصر، في أحد عشر مجلداً واعتنى بتصحيحه وتحقيق طبعه الشيخ محمد منير الدمشقي وقد علق على هذه الطبعة الشيخ أحمد شاكر، ولهذه الطبعة فهرس دقيقة تصل إلى حدود تسعين صفحة<sup>3</sup>.

وطبع "المحلى" للمرة الثانية طبعة تجارية في مطبعة الإمام بمصر وعليها تعليقات "الشيخ محمد خليل هراس" "وليس للطبعة الثانية تاريخ"<sup>4</sup>.

## 2. الإحكام في أصول الأحكام :

وهو الكتاب الذي احتوى على المسائل الأصولية والردّ على المخالفين بأسلوب علمي دقيق يندر وجوده في كتب أصول الفقه الأخرى، فهو يعتبر المرجع في هذا الفن لتأصيله الأحكام الشرعيّة حسب الأدلة الشرعية المعتمدة عند إمام الظاهرية.

فكتاب "المحلى" في نهاية الأمر لا يعدو إلا أن يكون تطبيقاً لما هو وارد في الإحكام وبذلك يكون ابن حزم هو من أسّس لعلم "تخريج الفروع على الأصول"، وقد غفل عن ذكره ابن بسام<sup>5</sup> وابن عماد<sup>6</sup> بالرغم من أهميته وإن كان أغلب الذين أرخوا للظاهرية ذكره من جملة مصنفاته، وعني بتحقيقه عدة علماء أبرزهم الشيخ أحمد شاكر في ثمانية أجزاء في مجلدين وطبعه بمطبعة السعادة سنة 1345هـ، وطبع للمرة الثانية بمطبعة دار الآفاق الجديدة سنة 1400هـ بإضافة مقدمة للدكتور إحسان عباس<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> "المحلى" لابن حزم، ج 1، ص 2.

<sup>2</sup> نفس المصدر، ج 10، ص 2.

<sup>3</sup> "معجم فقه ابن حزم"، ص 65، ج 12.

<sup>4</sup> "وصف المحلى" لأبي محمد بن علي الكتاني الأثري، ص 22.

<sup>5</sup> "الذخيرة" لابن بسام، ج 1، ص 170، 171.

<sup>6</sup> "الشذرات" لابن عماد، ج 3، ص 299، 300.

<sup>7</sup> "الأحكام بين ابن حزم والأمدي" للدكتور منصف بن عبد الجليل (رسالة دكتوراه مرقونة بكلية الآداب 9 أبريل).

### 3. الفصل في الإهواء والملل والنحل :

وهو من أوّل الكتاب المؤسسة لعلم "مقارنة الأديان"، حيث حلّل فيه أصول كل الديانات خاصة اليهوديّة تحليلا علميا موضوعيا دقيقا لا يستغني عليه الباحث في الأديان والفرق المتباينة الاتجاهات.

### 4. الإيصال على فهم الخصال :

وقع ذكره في التعريف بالمحلى.

### 5. رسائل ابن جرّم :

وهي رسائل متعدّدة في جميع العلوم، قد جمعها الدكتور إحسان عباس ونشرت لأول مرة في ثلاثة أجزاء عن المؤسسة العربية للدراسات وأبرز هذه الرسائل هي :

- رسالة البيان عن حقيقة الإيمان.
- رسالة في ألم الموت وإبطاله.
- رسالة التوقيف على شارع النجاة.
- رسالة في التلخيص لوجوه التخليص.
- رسالة في تسمية من نقل عنه الفتيا من الصّحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا.
- رسالة في أمّهات الخلفاء.

### 6. طوق الحمامة في الإلفة والإلفات :

وهو الكتاب الذي ورد فيه تفصيل علمي دقيق لأحوال المحبين والعشّاق ووصف للنساء اللاتي تعلم على أيديهن الشعر والأدب والحبّ العذري العفيف الذي صوّره عالمنا في كلّ أبواب كتابه، وكلّ من كتب بعده في هذا الفنّ يعتبر عالّة عليه.

وأشار كلّ من حقّقه إلى أهميته، فشهرته قد تجاوزت الأندلس وبلاد المسلمين<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> "طوق الحمامة" بتحقيق صلاح الدين القاسمي، ص 171.

## 7. التقريب لحدّ المنطق والمداخل إليه :

وهو الكتاب الذي حاول من خلاله ابن حزم تبسيط المنطق ونشره بأسلوب سلس وقد اختلف العلماء في تجربته الفلسفية والمنطقية. ومهما تعددت واختلفت هذه الآراء، فإنّ الكتاب يعكس في حدّ ذاته قوة وطول باع مؤلفه في هذا النوع من الدّراسات التي كان يجهلها أغلب فقهاء عصره وينكرون حتى الحديث فيها، فهو لم يكتف بترجمة المنطق الأرسطي بل كان مجدداً فيه ومضيفاً إليه أفكاراً جعلت من ابن حيان يعتقد أنّه حاطب ليل في المنطق لا يفقه منه شيئاً<sup>1</sup>.

## 8. جمهرة أنساب العرب :

وهو كتاب الأنساب والمرجع التاريخي للدارسين في هذا الفن يعكس إلمام ابن حزم العجيب بالمنهج التاريخي وتوثيقه لأخبار الأمم ومعرفة أنساب العرب، متأثراً بمنهجه الحديثي في معرفة رجال سند الأحاديث. كما يبرز منهجه الظاهري في نقد الرجال علمه الغزير بأحوال الرواة وأسمائهم وقبائلهم وصفاتهم فهو "نسابة العرب والفقهاء".

## 9. جوامع السيرة :

وقد عني بتحقيقه إحسان عباس وناصر الدين الأسد ونشرته دار المعارف المصرية سنة 1956<sup>2</sup>.

اعتمد المنهج الذي اتّبعه ابن حزم في ذكر سيرة الرّسول صلى الله عليه وسلّم على النّقد والتمحيص لروايات السيرة مؤرخاً لبعض الأحداث التي كانت السّبب في صدور أحكام شرعية. وقد طبّق نفس المنهج في "حجّة الوداع" بتأريخه لكل الأحداث تجاوز في ذلك أكبر مؤرخي العرب كالطبري في تأريخه وابن هشام في سيرته.

وتدلّ هذه المؤلّفات المطبوعة دلالة صريحة على موسوعيّته وثقافته الفكرية المتنوعة والتي شملت كل العلوم متّبعاً دائماً منهج الظاهرية والمحدثين في التّعامل مع الأحداث

<sup>1</sup> "معجم البلدان" لياقوت، ص 247.

<sup>2</sup> "أصول الفقه بين ابن حزم والأمدي" للدكتور منصف بن عبد الجليل، ص 17.

والرجال سواء في علم التاريخ أو السيرة، أو المنطق والفلسفة، أو الفقه وأصوله، أو العقيدة وأصولها، أو علم الأنساب فهو فقيه، أصولي، لغوي، أديب، مؤرخ ومنطقي ونسابة ملتزم بمنهجه الظاهري.

وأما الكتب المفقودة فهي أكثر من المطبوعة لأن العدد المذكور يتجاوز بكثير ما وقع طبعه أو ما يزال مخطوطا مثل الاستقصاء المجلى في الفقه، أسماء الله تعالى، شرح أحاديث الموطأ، الجامع في صحيح الحديث، مراتب العلوم وكتاب الإعراب<sup>1</sup>.

### المبحث الثالث : تأسيس المذهب الظاهري

المذهب الظاهري هو مذهب داود بن علي الظاهري وكنيته أبو سليمان الذي تبنى منهج أهل الحديث والأثر فسار في فقهه على خطى هذه المدرسة معارضا وناقدا لاجتهادات مدرسة أهل الرأي التي نشأت في العراق، فكانت نشأة المذهب الظاهري في الأندلس، ثم انتشر في العراق وخراسان وصار في فترة من الفترات من أهم المذاهب الفقهية لتمسكه بالكتاب والسنة الصحيحة والرد على أهل البدع والزيغ المؤثرين لآرائهم على النصوص.

وقد أخذ داود الظاهري العلم عن جمع من العلماء أبرزهم سليمان بن حرب، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وأبي ثور وإسحاق بن راهويه وكان يعرف بتقواه، وزهده، وورعه وتمسكه الشديد بالكتاب والسنة ورفض القياس. وقد عانى داود الظاهري كثيرا من أتباع المذاهب الفقهية الذين وجدوا في بعض مقولاته ضالته حيث اتهمه الإمام أحمد بالبدعة والخروج عن طريق السلف الصالح عندما ذكر رأيه في القرآن وخالف جمهور أهل السنة<sup>2</sup>.

وكان داود ينفي كل ما هو رأي واجتهاد مخالف للكتاب والسنة مخلصا لمنهجه الظاهري، منكر القول بالقياس والمصالح المرسله لأنها تشريع بغير ما أنزل الله وإتباع للأهواء في استنباط الأحكام.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 19، 20، 21 (بتصرف).

<sup>2</sup> "المدرسة الظاهرية" لأحمد بكير محمود، ص 20.

وبما أن لكل مؤسس مذهب فقهي مدرسة فكرية يتخرج منها تلاميذا يأخذون عنه علمه ويقومون بنشره، فإنّ داود الظاهري عرف بكثرة أتباعه من طلاب العلم والنزعة الظاهرية كابن حزم الظاهري، ابنه محمد بن داود، وزكريا بن يحيى الساجي وأحمد بن محمد بن صالح الرقي يكنى أبو سعيد.

ولم يكن للظاهرية تأثير يذكر في العراق لسيطرة المذهب الحنبلي الذي عمل على دحض وتفنيد أقوال داود وبيان مخالفته لعقيدة الإمام أحمد الذي عرف بشدة تمسّكه بالكتاب والسنة والأخذ ببعض ما أنكره الظاهرية كالقياس والمصالح المرسلّة والاستحسان<sup>1</sup>.

### المبحث الرابع : الظاهرية مع ابن حزم

انتقل المذهب إلى الأندلس وقام بنشره الإمام ابن حزم الظاهري، شارحا آراء داود، ناقدها في بعض الأحيان، منكرا على المذاهب الفقهية التي تعتمد الرأي كالمالكية والحنفية، وقد حفظ لنا كتابه المحلى عدة آراء للمالكية والحنفية قلما توجد في كتب أخرى فهو كتاب في الفقه المقارن حيث يعرض أدلة كل مذهب ويقوم بمناقشتها متبعا نزعة الظاهرية في فهم النصوص ورفض التقليد المسيطر آنذاك على مجتهد عصره.

فأول من دافع على المذهب الظاهري هو بقي بن مخلد وهو أحد العلماء الزهاد، الورعين الذي كرّس حياته للدفاع عن الكتاب والسنة ومحاربة المذهبية وإعمال الرأي.

وبعد وفاته بدأ مذهب الظاهرية في الانكماش لأنه كان فقها أصوليا له أسلوب جدلي يقرع به خصومه ويفنّد مقولاته، وقد تأثر به ابن حزم في تمسّكه بالكتاب والسنة ورفضه للقياس، وعمل على نشر النزعة الظاهرية من خلال التّأصيل الشرعيّ وفق الكتاب والسنة متّبعاً منهجا قاسيا وعنيفا في الردّ على مخالفيه وهذا ما جلب له الويلات من معاصريه الذين رموه بالشتم والسباب والوقيعه في العلماء فأعرض العامة عن علمه وعن لهجته العنيفة مع أتباع المذاهب الأخرى.

<sup>1</sup> "المدرسة الظاهرية" لأحمد بكير محمود، ص 20.

وكان ابن حزم واسع الإطلاع على المذاهب الفقهية خاصة المالكية والشافعية التي درسها وناظر فيها وانتهى به المطاف إلى اختيار المذهب الظاهري وذلك لعدة اعتبارات :

1. الردّ على الفرق الإسلامية التي تسلك منهج الباطنية كالصوفيّة الغنوصية ، الشيعة الإمامية والمذاهب الفلسفية.

2. انتشار التقليد والتعصّب المذهبي فاندثرت السنة أمام التمسك بأقوال مؤسّسي المذاهب.

3. غياب المنهج العلمي الموضوعي الذي يعتمد على التحليل والمناقشة وعرض آراء الخصوم بدون تزيف ولا تحريف.

4. الانتصار لمنهج السلف في الأخذ بالكتاب والسنة ونبذ ما سواههما ، حيث يدلّ ابن حزم في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" على كثير من أصوله بالاستناد إلى أقوال الصحابة كأبي بكر وعلي بن طالب وعثمان بن عفان الذين عرفوا بإنكارهم لما خالف سنة الرسول صلى الله عليه وسلّم.

## **المبحث الخامس : انقراض المذهب الظاهري**

ساهمت عدة عوامل في اندراس مذهب الظاهرية ولعلّ أبرزها :

### **1. سقوط دولة الموحّدين :**

انتشر مذهب الظاهرية مع دولة الموحّدين وتواصل الاعتماد على الأخذ بظاهر النصوص حتى نهاية هذه الدولة.

وقد عمد المهدي بن تومرت إلى نشر مذهب الظاهرية وذلك بتمكين أئمة الظاهرية الخطط الشرعية والقضاء في أغلب مدن الأندلس مثل إشبيلية ، قرطبة ، مرسية وسبتة<sup>1</sup>.

وقد انحسر مذهب الظاهرية بعد انتهاء دولة الموحّدين حوالي عام 668هـ وفقد أتباعه مكائتهم في الخطط الشرعية مع سيطرة "بنو مرين" على الأندلس<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> "المدرسة الظاهرية بالشرق والمغرب" للدكتور أحمد بكير محمود، ص 21.

## 2. انتصار الأمراء للمذهب المالكي :

كان ابن حزم وفيما لمنهجه الظاهري في فقهه والتزم الكتاب والسنة والإجماع نافيا القياس والمصادر التبعية كالاستحسان وسدّ الدّرائع وصبّ جم غضبه على المالكية والحنفية لأنهم كانوا أهل الرأي وأبعد الناس عن الأثر وهذا ما جعلهم يكيّدون له المكائد ويطالبون الأمراء بتغريبه وطرده من كل مكان حلّ به لقلة أدلتهم ومنهجه العجيب في الجدل والمناظرة ودحض شبهات خصومه من المالكية الذين تبوءوا أهم الخطط الشرعية باعتبار أنّ المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للدولة.

## 3. شخصيّة ابن حزم :

كان ابن حزم رحمه الله لا يخاف لومة لائم في شريعة الله، وكان شديد الإنكار على مخالفيه من المذاهب الأخرى لأنه كان يرى الحق واحدا لا يتعدّد، فهو ينتصر في كلّ مناظراته حتى وإن خالف رأيه بالرجوع عنه إن أوجد خصمه الأدلة الشرعية المعتبرة، ولكنه بالغ في نقد ورمي خصومه بالجهل والبدعة والقول عن الله ورسوله بغير علم وهو الوحيد الذي أفنى عمره في تحصيل الحق فهو يعتز بنفسه إلى درجة الغرور والكبر وهذا ما دفع بالعلماء وطلبة العلم إلى الإعراض عن أقواله وأرائه متى وإن كان فيهما خير كثير وعلم لا يوجد عند غيره من الفقهاء والأصوليين.

## 4. الغلو في اعتماد النّزعة الظاهرية :

وصف ابن حزم نفسه بـ "الظاهري" لتمسّكه الشديد بظواهر النصوص حتى وإن أدى به ذلك إلى الشذوذ والغرابة، وأمثلة ذلك متعدّدة وعلى سبيل ذلك : إمكان الجمع بين الأختين بالنكاح وملك اليمين، فساد عقد نكاح البكر إن تكلمت ولم تصمت، الإناء الذي ولغ فيه الكلب طاهر ونجاسة المشرك هي نجاسة حقيقية أي نجاسة بدنية لا نجاسة مجازية محمولة على نجاسة الاعتقاد.

<sup>1</sup> "الإمام ابن حزم وأثر النزعة الظاهرية في اجتهاده" للدكتور إسماعيل يحيى رضوان، ص 48.



وقد أنكر العلماء هذه الآراء الشاذة المخالفة للكتاب والسنة والعرف ، والحسّ والعقل وأفتوا بعدم اتّباعها ولا التعرض لها كما قال الإمام الذهبي ذلك عند تعرض ابن حزم لنقض مفهوم المخالفة بأدلة لا يعقل الاعتماد عليها مثل قوله لا وجود لدليل ينهي عن ضرب الوالدين وغيرها من الأدلة التي أنكرها خصومه.

## 5. انتشار المذهب الحنبلي :

يشارك المذهب الحنبلي مع المذهب الظاهري في وجوب اعتماد النصوص الشرعية والآثار الصحيحة لاستنباط الأحكام الشرعية ونبد الرأي والتقليد ولكن الحنابلة لم يغالوا في التمسك بظواهر النصوص وترك المعاني والمقاصد الواردة فيها والحكم التي أرادها الشارع من الخطاب.

وقد كان أئمة المذهب الحنبلي يناقشون أدلة الظاهرية ويفندوها بالأدلة الشرعية المعتبرة وهذا ما أدّى إلى تراجع المذاهب الظاهري خاصة مع ظهور الحنابلة الجدد كابن تيمية وابن القيم اللذين أنكرا على ابن حزم آراؤه الشاذة وفساد عقيدته لتأويله الصفات والأخذ بمذهب المعتزلة والمتكلمين في العديد من المسائل العقدية فهو في رأيهم لا يمثل عقيدة أهل السنة وإن كان فقهه يعتمد الحديث الصحيح لذلك يعتدان بخلاف فقه الظاهرية الذي أنكره أغلب الفقهاء ، ويعارضانه في المسائل العقائدية.